



يهشّمون جمجمة دمشق. يهدمون حلب . يهدّون حمص. يكسرن أضلاع حماة، يحرقون عماير حوران...ويهرسون جزيرتنا وبادية الشرق... يصفون المدن العربية وأوابد الحضارة؛ لأنها ثارت بعد أن كانت عقودا صامدة متسسلمة. إنهم يصفون التاريخ ليقطعوا حناجر المنادين بالحرية ويخنقوا أحلام الحياة؛ لكنَّ القتل لا يستطيع أن يمحو ما حفّر في التاريخ على الصخر والحجر ونسل البشر.

ونعرف أمام مشهد الدُّم الفظيع، أنا كنا خطائين عندما هربنا، وعندما عجزنا عن الصمود بشجاعة في طلب الحق والخير...هربنا بعيداً عن دمشق وحلب وحمص وحماة، وعن صلة الرحم بالأرض، هربنا إلى داخلنا وإلى خارجنا...إلى وعي سطحي مزور ممسوخ. ورحنا نقصّ في حزنها وبؤسها القصصي والمраحي، ونكتب ملهاة التهكم المتألم والساخريّة الفوقيّة السالبة، مع أننا من صلب تاريخها بالأصل والنشأة والهوى.

والأجدى أن نكافح لأجل فرحتها وإشراقها وتحريرها من الواقع الذي يحطّ من شأنها ويشدّها نحو الهاوية. وكانت الأرض غاضبة جداً منا نحن - المنهزمين بعيداً - ومن مدتنا التي تفتّت في برقعة جلدتها العتيق الحضاري بمساحات الجهل والعجز والعار والذل والباطل، عندما استسلمت تحت حد الاستبداد والجلاد، لحكم الطغمة العنصرية ومنطق العسكر الأسفل، الذين جاؤوا من قلب الظلمة والجهل للنهب والسلب وإثارة الأحقاد.

فلنعرف أننا وأهلاً، وأهل أهلاً، أسهمنا في حرب إبادتنا عندما تعثرنا بالجبن ورمينا مشعل الحضارة، وهربنا بجلدنا المسلمين، وتركنا الهمج يقودون القافلة...ولننحو إجلالاً لنوارنا الشجعان وأبطالنا الشهداء والأحياء، ولنشكر شبابنا الذين قرّروا أن يكسروا حاجز الخوف وأن ينقذونا من الشتات والاغتراب، ولنقاسمهم نضال المصير البطولي.

إنَّ الأرض الآن تعيد أبناءها إلى صدرها، وتبارك كل قطرة دم مبذولة لأجل الحرية والكرامة والخير والحق. الشعب الآن يدفع ثمن الأخطاء الفادحة لصمت أهله وصمته مدنـه واستسلامها القسري للسلاطين الجبارـة والطغـاة الذين انتهـكوا كرامـتها وحضارـتها. والدمـ الآن يكـفر عن الخطـايا العـظيمـة التي ارتكـبـها الصـامتـون والـعاـجزـون والـفـاسـدـون والـذـاتـيون والـنـرجـسيـون والـمنـغلـقـون عـلـى حـارـاتـهم وـعـشـائرـهم وزـوـاـيـاهـم التـعبـديـة، الـتي يـحـضـرـ فيـها الـغـيـابـ وـيـغـيـبـونـ، وـالـمـنـغلـقـونـ عـلـى بـيوـتـاتـهم التـقـليـديةـ الـتي تـسـمـرـ عـلـى شـرـفـاتـها الـيـاسـمـينـ الـذـي يـتـغـنـونـ بـهـ وـيـنـشـدـونـ.

فلنكن الآن صابرين على غلاء ماندفعه وسندفعه من دمنا. ولنسهم بقوّة في أن نشرع أشرعتنا إلى فضاءات وطن حر كريم عادل، مهما تعاظم الرّزء والبلاء.

